في تايلاند... عبر خمس بوابات وحاسة السِّحر
'مملكة سيام' كما عُرفت قبل عام 1949

تلقائياً و بألق، ترتسم لوحات الانطباعي الفرنسي كلود مونيه العملاقة «زنبق الماء» Nymphéas Les في أرجاء شانغ ماي التايلاندية حيث النباتات المائية تطفو على سطح المستنقعات و تلقّح مناديل جيم تومبسون الحريرية. و همُ حقيقة، خلت أن تيجان اللوتس خرافية اللون من نسج خيال أفلام ديزني.

هنا الجناديل الشرقية تستحضر أجواء البندقية لكنها تسبح في نهر Phraya Chao (نهر الملوك الذي يطوّق العاصمة بانكوك) على ضفاف معبد بوذا الزمرّدي.

مشهدية هندسية ساحرة لم تستثنِ فاكهة التنين Dragon Fruit النضرة كوجنات التايلانديين. على أرض الأحرار التي لم يطأها الاستعمار، هنا تايلاند أو «مملكة سيام» كما عُرفت قبل عام 1949.

ملامح تحرّ عنق المدينة الإسمنتية والابتكار الرتيب ...

جيم تومبسون: حكاية من نسج الحرير

في عمق زقاقٍ ضيق في بانكوك، تنبُت الأسقف القرميدية التايلاندية المعقوفة في حديقة استوائية طرحت عطاء مهدّئ مع فوضى المدينة العصرية.

في الأمس، كان منزل «ملك الحرير» جيم تومبسون و اليوم متحف شاهد على هيام هذا الأميركي بالفنون التايلاندية و تاريخها.

و لد جيم تومبسون في غرين فيل في ولاية ديلاوير عام 1906 درس الهندسة في نيويورك حتى بداية الحرب العالمية الثانية حين انضم إلى الصفوف العسكرية.

عمل لصالح الOSS (مكتب الخدمات الإستراتيجية) و أرسل بمهمة إلى تايلاند.

افتتن بجمال البلاد و طيبة سكانها فطلب أن يعفى من مهماته للإقامة في تايلاند و الإستقرار فيها.

انجذب إلى صناعة الحرير التايلاندية المهملة، و غرق بين لفافات الحرير إلى أن حرّك مشاغل الحرير التايلندية في أحياء بانغ كروا و الأرياف الشمالية.

توجّه إلى نيويورك محملاً بأقمشة الحرير التي مدحها مواطنوه و عاد إلى تايلاند بثقة نهائية ليؤسس داره الخاصة لصناعة الحرير.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

نسج الحرير الإستوائي خصيصاً للغنائية الكوميدية الشهيرة، «الملك و أنا» مما شكّل منعطفاً أساسياً في صناعته، حين ارتدت اسكوتلندية هوليوود ديبورا كير حريره.

محققاً هذا الإنجاز، خلب خيال محرري الموضة و مصممي الديكور حينها.

مؤلف من ست منشآت خشبية، تتزاحم الذكريات بين أروقة منزل جيم تومبسون التي يعلو منسوب رونقها بالحفيف المحيط و خرير القناة المجاورة.

هنا صورة جيم و كَتُوّته البيضاء «كوكي»، طائر الببغاء الكبير، و هناك صورة جمعته مع الملكة سيكيريت في متجره الأول.

تأسس المنزل عام 1958 مستلهماً من العمارة التايلاندية التقليدية.

كعصفور أبي نساج بنى «عشّه» بعناية فائقة متأثراً بفنون جنوب شرق آسيا و الهندسة التايلاندية مستعيناً بنجارين من أيوتاها، العاصمة الأولى لتايلاند و التي تحتفظ بملامح المملكة القديمة المرتسمة في إيحاءات باعثة لل«ناغا» (أفعى أو تنين).

تستقبلك الأبواب الخشبية المصنوعة من شجر الدّلب الهندي المحصّنة بأسدين صينيين صقلتهما حجارة القرن التاسع عشر ميلادي، يرسيان سلطة الوصي. حديقته غابة و هذا ما يصفه جيم في رسالة كتبها لشقيقته.

يحب الخضرة البرّية التي لا تزال تنبت حتى اليوم.

تحت الإيراق الكثيف لأشجار النخيل و التين و الموز و الزنجبيل الأحمر و النبات الإستوائي، تتعانق و تتمازج سحنة الأوراق كما نسج الحرير.

يسحرك الإهمال النباتي الجميل الذي يضفي على المكان عذريته كما الغابات الكثيفة التي لم تشذبها المثالية.

تحتار لتختار المكان الذي تريد توثيقه في مخيلتك، من الحديقة إلى المنزل إلى متجر الحرير.

رأس بوذا جالساً و المنحوتات الخشبية توثق كل واحدة واقعة من حياة بوذا.

تزخرف الكسوة الخشبية للجدران أسفل النوافذ و أعلى الأبواب، فيما يبرز الإفراط في رفع العتبات لمنع الأرواح الشريرة إلى المنزل حسب ما اعتقد التايلنديون في الماضي.

أواني البورسلين الصينية الزرقاء و البيضاء (المصنّعة في منطقة أنّام خصيصاً للعائلة الملكية التايلاندية) و التايلاندية («بنشارونغ» والتي تعني خمسة ألوان) و زخرفة حكايا ال«جاتاكا» البوذية متألقة تطلّ من النصفيات (طابق صغير بين طابقين كبيرين).

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

الرخام الأبيض و الأسود مستقدم من قصر قديم في بانكوك كما ثريا الكريستال الأرستقراطية.

و تحمل طاولات المائدة شعار المملكة في عهد الملك شولا لونغكورن (1868- 1910)، فيما الكراسي منجّدة بالحرير التايلاندي دون أدنى شك.ترصّع التحف البورمانية مشكاة الحائط (كوّة يوضع فيها تمثال أو مزهرية).

يشكل الصالون الركن الأكثر جذباً في المنزل حيث تنتصب التماثيل الحاملة لزهرة اللوتس المستقدمة من أمارابورا، تلك التي نراها غالباً عند مداخل المعابد البورمانية.

تحفة الهونغ الأسطوري المرتبط بالعائلة الملكية التايلاندية و لوحة استعراض ال«Lakhon Nai» النسائية الكلاسيكية و الرسوم التي توثق ملامح مثقفي البلاط بريشة فرنسية و القناة Klong التي كان يركبها جيم كل صباح و الدلب الهندي أيضاً صنع السرير و النذريات الذهبية، شهود على رجل خرج و لم يعد.

عام 1967، ذهب للإجازة في Cameron Highlands في ماليزيا مع أصدقائه لكنه توغل في الغابة المحيطة بالمنطقة، ولم يعد حتى اليوم. اختفى أثره.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

'الحامض أغلى من الأناناس'...أحجية داخل الأطباق الملكية

تنبهوا لما يقترفه الطهاة العالميون الذين يضلّلهم الزنجبيل (Khing) و الغالانغر (khaa) و يقترفون خطأ فادحاً في كتبهم عن الأطباق التايلاندية ! هذا ما يقوله الشيف التايلاندي مشيراً إلى أنهم لا يميّزون بين هذين المكوّنين.

يستخدم التايلانديون الليمون الأخضر المتعرج القشرة Kaffir Lime عوضاً عن الليمون الحامض، فهذا باهظ الثمن.

الحامض أغلى من الأناناس و المانغو! فتايلاند هي بلاد الفاكهة حيث 24 نوعاً من الموز. أما الفاكهة الأشهر فهي الدريان (ملكة الفواكه) المميزة بقشرتها التي تحاكي الهندسة التايلاندية الحادّة الأطراف، إضافة إلى الجاكا والغوافا المقرمشة و المانغوستين الشبيهة بالباذنجان لكن بشكل كروي.

أما التوابل الأشهر فهي الفلفل ونوع «عين الطير» البالغ الصغر لكن أسمه الأطول من بين أشقائه Prik khee noo. يشعر من يتناوله و «كأن شفتيه ستهويان من وجهه»، أما الكبير فيطلق عليه لقب فلفل الموزة Prik Yuak.

الفلفل هو من التوابل الرئيسية في الأطباق، كما يستخدم المطبخ التايلاندي منكهاً أساسياً و هو الكزبرة، إضافة إلى الأعشاب و الجذور، و لعلّ أهمها «الجذور الأصابع» Fingerroot التي يطلق عليها أيضاً «المفتاح الصيني».

و يعتبر الحساء من الأركان الأساسية في المطبخ التايلاندي الذي يقدم في كل المواسم و يدخل في مكوناته البيض غالباً (يضاف أيضاً على السلطات). تقدّم الأطباق بأسلوب فاخر كما أن الوليمة مخصصة للملك داخل أوانٍ مغلقة ومزخرفة، مما يمثل أحجية جميلة قبل التذوق.

أما الفاكهة فمقدمة بأشكال هندسية مذهلة لحدّة تفاصيلها، فيما ثقافة الزهور حاضرة على المائدة شكلاً وإيحاءً. أما الأرز فهو يمثل «حبة الحياة» للتايلانديين و يقدّم مع كل طبق خصوصاً الأسماك و المأكولات البحرية.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

في حضرة المعابد ومهرجان Loy Krathong

هنا موطن المعتقدات الممتعة. فثمة تقليد يتبعونه في المعابد و هو خفق علبة داخلها عيدان مرقّمة يستمر المرء بهزّها حتى و قوع عود مرقم «يخبئ للمرء ملامح مستقبلية».

وقد حصلت على رقم 14 الذي ينصّ على : «تحلّي بالصبر ولا تكوني سريعة الغضب. الأمور ستكون على ما يرام. لا تفكري بالحبيب».

معتقد آخر لا يقل طرافة و متعة يقوم به التايلانديون في مهرجانLoy Krathong في شمال تايلاند (شانغ ماي) حين يكتمل القمر. طوال ثلاثة أيام ومع انتهاء عمليات الحراثة و الزراعة و هدوء الريح الموسمية الشمالية و حين تبرعم حقول الأرز في كل أنحاء المملكة، يحتفل بالLoy أي عملية «الطوف» والKrathong و هي منبر مصنوع من أغصان الموز و قشور جوز الهند تشرف على الأنهار والمستنقعات.

هو تقليد من القرن الخامس عشر، يلقي التايلانديون باقات الزهور المُنارة بشمعة في الأنهر و المستنقعات، كما أنهم يشعلون مناطيد تضيء السماء كنجوم قريبة مع أمنية.

عيد تحتفل به الجارتان بورما و لاوس مع نهاية فصل الإنهمار، حين يكون منسوب الأنهر لا يزال مرتفعاً.

مناطيد تتمزّق و تحترق و «لا تتحقق الأمنيات» و يتفاءل من يطير و يرتفع منطاده عالياً. و يسمى هذا العيد أيضاً Long Sapao إذا كان العائم قارباً صغيراً.

و يتزوج العديد من الشركاء و الثنائيات في شمال البلاد في هذه الأيام من العام، فأهل هذه المنطقة مزارعون أولاً.

تطلق مناطيد Kom Loy بالآلاف في السماء للتخلص من الحظ السيئ و كل الذنوب.

و كان ثمة معتقد بأن المنطاد الذي يقع فوق ملكية أحدهم يسلّم بأن طباع صاحبها سيئة.

لكن هذا المعتقد خفّ وهجه خصوصاً مع إطلاق أعداد كبيرة من المناطيد، و بات نوعاً من المتعة الليلية المرصّعة بالنجوم القريبة. تحتفل تايلاند كل عام بأكثر من مهرجان تراثي و Loy Krathong هو أكثرها «منظرانية» شبيه بصورة رائعة، مع تسيير مواكب الورود و الجميلات و الديكورات الذهبية و ترف الأنوار التي تضيء السماء القريبة.

يرسلون باقات عائمة من الزهور المضاءة بشمعة و المعطّرة بالبخور و يسألون الصفح عن أخطائهم، واقع سحري لإجلال «مملكة اللانا» السالفة في شمال تايلند، مملكة حقول الأرز المليونية.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

تكمن أبرز معالم فنون الهندسة التايلاندية في معبد بوذا الزمردي الواقع في قلب بانكوك بين أرجاء «القصر الكبير»The Grand Palace، و الذي يعكس مزيجاً من الهندسة التقليدية التايلندية و النيو- كلاسيكية الأوروبية.

ترصّع أبراجه الثلاثة الذهبية العاصمة و تضيئها ليلا. لا بد من زيارة «القصر الكبير» الذي أسّس عام 1782 مع اعتلاء الملك راما الأول العرش و تسمية بانكوك العاصمة الجديدة للبلاد.

و لا يقتصر هذا القصر على المقر الملكي وصالات العرش، بل يتضمن مكاتب حكومية و معبد بوذا الزمردي.

و في قاعات الأخير تتبدّل ملابس بوذا ثلاث مرات وفق المواسم (الصيف والموسم الماطر والشتاء).

تمّ اكتشاف منحوتة بوذا الزمردي من حجر الجاد عام 1434 في شانغ ماي.

مجسمات أسطورية و فيلة و أبراج مرصّعة باللؤلؤ والذهب و ملبّسة بالخشب الداكن و الفيلة البيضاء المنقوشة على الجدران، تسرد المراحل الرئيسة من تاريخ تايلاند و الحرب التي شنّها الملك راما لإنقاذ زوجته سيتا إثر خطفها على يد ملك لانكا، رافانا عدو المملكة.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

في أحضان الفيل ...«الملكة سيريكيت النباتية»

يرتكز الطب الصيني و الأيورفيدا (شكل من أشكال الطب البديل، علم الحياة) على العناصر الكونية و أهمية توازن الأخلاط الثلاثة (الكافا والبيتا والفاتا) في جسم الإنسان و ربطها بالفصول والطاقة و الطعام و الشراب الدافئ.

و قد جدّدت حديقة «الملكة سيريكيت النباتية» منطق الإرث الأخضر والحياة الصديقة للطبيعة.

أنشئت الحديقة عام 1993 تحت رعاية منظمة الحدائق النباتية (BGO) و وزارة الموارد الطبيعية والبيئة.

تقع في إقليم شانغ ماي و تمتد على مساحة ألف هكتار، أهدافها مسخّرة لزراعة الزهور التايلاندية و إعداد الأبحاث و الدراسات النباتية في مجالي البيئة و الصحة.

هنا حقول الزنبق الوردي و الفراشات حيث تتشابك البتلات الزهرية و المرفرفة.

تنبت الزهور على شكل حزمات و جماعات.

داخل ثماني دفيئات زجاجية، تتشكل غابات الموز و النخيل و عائلات الزنجبيل و زنبق الماء العملاق العائم في الأحواض و النباتات آكلة الحشرات Carnivorous و الفصيلة الشفوية Labiatae (صعتر برّي ونعناع وخزامى).

إضافة إلى أزهار الأوركيد و الخنشار و نبات الصحراء (الصبار) والمخلدية Crassulaceae .

وإلى حلبة الفيلة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ تايلاند حيث كانت تساق لشن حروب ولعبت دوراً اقتصادياً عبر القرون. كما أن الفيل الأبيض هو رمز المملكة وكان مطبوعاً على العلم التايلاندي بخلفية حمراء حتى عام1917 .

كان الملوك يمتطون الفيلة للحرب، وقد أهدى الملك راما الرابع عدداً من الفيلة إلى الرئيس الأميركي جيمس بيوكانان (الرئيس ال15 للولايات المتحدة الأميركية) رغم أن لقبه كان Doughface !
أما اليوم، فالفيلة كائنات أليفة لديها مهارات غير متوقعة كالرسم أو السخرية أو تبادل المزاح ويرفّه عن السيّاح، كذلك التربيت على كتف الإنسان ومعانقته، وهو الأمر الذي قد لا يكون محبذاً أحياناً. لكن دون شك، هو كائن لطيف وذكي يلعب كرة القدم وتباع لوحاته قبل أن تجف.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

شانغ ماي: المنزل حيث القلب يشعر بالأمان تحت «مظلّة» الماضي ..

تحضر ذاكرة المملكة عبر تحف و أيقونات لا توضع في البيوت بخجل في الزوايا و الخزائن، بل تعرض بأحجام كبيرة و مستحدثة كقطعة أثاث أساسية، و تنقش الجدران بأسلوب عصري و رؤية تراثية (ورق الجدران).

الخشب مطلي و منقوش بالذهب بأسلوب Busabok المطبّق في المعابد، تشكل المنازل و أثاثها و تحفها إحياء للماضي بشكل نهائي.

تلك التي يمكن شراؤها من أحياء شانغ ماي حيث أمهر الحرفيين.

هنا شانغ ماي المعروفة شعبياً باسم «زهرة الشمال» المرتوية من نهر بينغ.

هي الهوية الثقافية النقيّة و الجمال الطبيعي لتايلاند التي تبعد 700 كلم عن بانكوك.

تأسست عام 1296 على يد الملك منغراي كعاصمة لمملكة «لانا»، و هي تحتل الصدارة تايلاندياً بحرفها اليدوية.

خصوصاً الأجراس و المظلات الملونة المنقوشة بالعصافير و الفراشات و الزهور و المصنّعة من شجر التوت، إضافة إلى الحرير و الخشب و الفضة و السيراميك.

أي أنها الوجهة التسوّق النهائية للسيّاح ومهد الحضارة التايلاندية.

و لاكتشاف مدى تعايش الفنون التايلاندية مع الجوار لا بد من الإقامة في فندق Mandarin Oriental Dhara Dhevi في شانغ ماي، المقر الملكي السابق و التحفة الخشبية العملاقة.

وقد نزلت في أحد أجنحته أميرة ويلز الراحلة ديانا. و هو يقصّ حكاية تايلاند و الدور الذي لعبته في إثراء حضارات آسيا الجنوبية الشرقية.

فموقعها الجغرافي و السياسي منحها فرصة ابتكار الأساليب الفنية المتنوعة إلى أبعد حدّ.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١

الأرز التايلاندي مسحوق و برشامة

حبّة واحدة من الأرز قد تعالج التجاعيد أفضل من البوتوكس و تضبط معدّل الكوليسترول، هي محاربة للسرطان و غنية بفيتامين E.

ثمة اتجاه تايلاندي لنقل حبوب الأرز إلى عصر البودرة والبرشامة.

و هنا تنصهر الحاجة بالخطر خصوصاً أن قسماً كبيراً من البودرة التجميلية في الأسواق مصنّع من مادة «التّلق» المعالجة و الشقيقة لمادة الأسبستوس (الحرير الصخري).

و قد حذّرت منظمة الصحة العالمية من هذه المادة لأنها تسبب مشاكل في الجهاز التنفسي و تنطوي على خطر الإصابة بالسرطان.

المستحضرات التايلاندية فبطحن الأرز صنعت هذه البودرة بمواصفات عالمية وصحية.

كما أنّها ابتكرت زيت نخالة الأرز الذي يقلّص خطر الإصابة بأمراض القلب، إضافة إلى الصابون المصنّع من حليب الأرز بديلاً من دهن الحيوان.

الأرز، «حبة الحياة» للتايلاندين تعرّض المزارعين لأزمات مقلقة جراء الأسعار غير الثابتة و الفيضان غير الموسمي و المنافسة الضارية مع دول الجوار و لعل هذا ما أرسى معادلة مشكلة + التكنولوجيا × الابتكار الوافر = تجديد.

الطبيعة باشرت خطوتها الأولى للإنقاذ مع زيت نخالة الأرز الزيت المستخرج من البذور والقشرة الداخلية لأكثر أنواع أرز الياسمين التايلاندي جودة، مذاقه رائع و هو على شكل برشامة أيضاً.

يحتوي زيت نخالة الأرز على المصادر الغذائية الآتية :

- الGamma-Oryzanol المكافحة للكوليسترول في الدم والتصلّب العصيدي في الأوعية الدمويةAtherosclerosis.
- فيتامين E المضاد للتأكسد.
- Omega 3 المحارب لخطر الإصابة بداء الألزهايمر و الضابط للدورة الدموية السليمة.
- Omega 6: لبشرة متألقة ونضرة.
- Omega 9: يحتوي على مادة الليسيثين المغذية للدماغ
- ال Melatoninالمعالج للأرق.

النسر العربي الدولية © ٢٠١١